130685 ـ الأدب مع الله بإضافة الخير إليه ، وإضافة الشر إلى غيره

السؤال

قال تعالى في سورة الكهف (وأما السفينة فأردت أن أعيبها .... وأما الغلام ....فأردنا أن يبدلهما ... وأما الجدار .....فأراد ربك أن ...) والسؤال هو : لماذا ذكر في أمر السفينة على لسان الرجل الصالح أردت ونسب الإرادة إلى نفسه فقط , وفي الحالة الثانية نسبة الإرادة إلى الله عز وجل وإلى نفسه , وفي الحالة الثالثة نسبة الإرادة إلى الله فقط , ثم قال : (وما فعلته عن أمري) ؟ فهل هناك تفسير لهذا الأمر من هذا الوجه ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قول الخضر عليه السلام عن السفينة : (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) هو من التأدب مع الله تعالى ، حيث نسب إرادة العيب إلى نفسه ، ولم ينسبه إلى الله مع أنه هو الذي قدَّره ، تأدباً مع ربه سبحانه .

وأما قوله : (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا) فالإرادة هنا تخصه هو ، وهو نبي ، يفعل عن أمر الله ، كما قال : (وما فعلته عن أمري) فناسب ضمير الجمع .

قال القرطبي رحمه الله:

" وقال في الغلام : (فأردنا) فكأنه أضاف القتل إلى نفسه ، والتبديل إلى الله تعالى " انتهى .

"الجامع لأحكام القرآن" (11 / 40) .

وأما قوله : (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ)

فهو جار على الأصل من نسبة الخير إلى الله تعالى .

وقد كان من ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على الله تعالى قوله : (وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) رواه مسلم (771) .

قال النووي :

" قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْره : فِيهِ الْإِرْشَاد إِلَى الْأَدَب فِي الثَّنَاء عَلَى اللَّه تَعَالَى , وَمَدْحه بِأَنْ يُضَاف إِلَيْهِ مَحَاسِن الْأُمُور دُون مَسَاوِيهَا

عَلَى جِهَة الْأَدَب " انتهى .

قال ابن القيم :

" الطريقة المعهودة في القرآن الكريم هي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله سبحانه وتعالى ، فيذكر فاعلها منسوبة إليه ولا يبني الفعل معها للمفعول ، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدبا في الخطاب ، وإضافته إلى الله تعالى أشرف قسمي أفعاله .

فمنه قوله تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) .

[يعني أنه في الإنعام قال : (أنعمت) وفي الغضب قال : (المغضوب عليهم) ولم يقل : غضبت عليهم] .

ونظيره قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه (الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين) الشعراء/78-80 . فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى ، ولما جاء إلى ذكر المرض قال : (وإذا مرضت) ولم يقل : (أمرضني) وقال : (فهو يشفين) .

ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن : (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) الجن/10 . فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب ، وحذفوا فاعل إرادة الشر ، وبنوا الفعل للمفعول .

ومنه قول الخضر عليه الصلاة والسلام في السفينة (فأردت أن أعيبها) فأضاف العيب إلى نفسه . وقال في الغلامين : (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) الكهف/82 "

انتهى مختصرا .

"بدائع الفوائد" (2/256) .

" ومثله قوله : (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) الحجرات/7 . فنسب هذا التزيين المحبوب إليه ، وقال : (زُيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين ...) آل عمران/14 ، فحذف الفاعل المُزَيّن "

"بدائع الفوائد" (2/440) .

وقال القرطبي رحمه الله :

" أضاف عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب ؛ لأنها لفظة عيب فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه ، كما تأدب إبراهيم

عليه السلام في قوله : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى ، وأسند إلى نفسه المرض ، إذ هو معنى نقصى ومصيبة ، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح ، وهذا كما

قال تعالى : (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) واقتصر عليه فلم ينسب الشر إليه ، وإن كان بيده الخير والشر والضر والنفع ، إذ هو على كل شيء قدير " انتهى .

"الجامع لأحكام القرآن" (11 / 39-40) .

وقال ابن كثير في "تفسيره" (6 / 146) :

" وقوله : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) أسند المرض إلى نفسه ، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلْقه ، ولكن أضافه إلى نفسه أدبا " انتهى .

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله :

ورد في سورة الكهف على لسان الرجل الصالح في قصته مع موسى عليه السلام ، في قوله تعالى: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) إلى قوله تعالى: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)

لاحظت أنه عند السفينة قال: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) وعند ذكر الأبوين المؤمنين: (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا) وعند ذكر قصة اليتيمين صاحبي الجدار: (فَأَرَادَ رَبُّكَ) فما الفرق بين التعابير الثلاثة ؟ وهل ذلك يعني أن للرجل الصالح إرادة في الأمر مع إرادة الله ؟

فأجاب :

" الصحيح أن هذا الرجل هو الخضر صاحب موسى عليه الصلاة والسلام ، وأنه نبي ، وليس مجرد رجل صالح بل الصحيح أنه نبي ، ولهذا قال: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) أي : بل عن أمر الله سبحانه وتعالى .

وجاء في القصة نفسها في الصحيح أنه قال لموسى: (إنك على علم من علم الله علمك الله إياه لا أعلمه أنا ، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت) .

فدل ذلك على أنه من الأنبياء ، ولهذا قال: (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا)

وقال : (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) والرسول يعلم إرادة الله حيث جاءه الوحي بذلك .

وفي قصة السفينة نسب الأمر إليه (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) هذا والله أعلم لأن الرب سبحانه ينسب إليه الشيء الطيب ، والعيب

ظاهره ليس من الشيء الطيب ، فنسبه إلى نفسه تأدبا مع ربه عز وجل، فقال: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) وهذا عيب يراد منه أن تسلم السفينة حتى لا يأخذها الملك ; لأنه كان يأخذ كل سفينة صالحة سليمة فأراد الخضر أن يعيبها لتسلم من هذا الملك إذا رآها معيبة خاربة تسلم من شره وظلمه ، فلما كان ظاهر الأمر لا يناسب ولا يليق إضافته لله نسبه لنفسه فقال : (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا)

وعند ذكر الأبوين المؤمنين قال : (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا) كذلك لما كان أمرا طيبا نسبه إلى نفسه ؛ لأنه مأمور من جهة الله عز وجل (أردنا) ، وذكر نون الجمع ؛ لأنه نبي ، والنبي رجل عظيم فناسب أن يقول : (أردنا) ، ولأنه عن أمر الله وعن توجيه الله فناسب أن يقال فيه : (أردنا) ، ولأنه كان عملا طيبا ومناسبا وفيه مصلحة .

ولما كان أمر اليتيمين فيه خير عظيم وصلاح لهما ، ومنفعة لهما قال : (فَأَرَادَ رَبُّكَ) فنسب الخير إليه سبحانه وتعالى ، وهذا من جنس قول الجن في سورة الجن ، حيث قال سبحانه عن الجن : (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) الجن/10 ، فالشر لم يضيفوه إلى الله سبحانه وتعالى، ولما جاء الرشد قالوا: (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) فنسبوا الرشد إلى الله سبحانه وتعالى ، لأن الرشد خير فنسبوه إلى الله ، وأما الشر فلا ينسب إليه ، كما جاء في الحديث الصحيح : (والشر ليس إليك) ، وهذا من الأدب الصالح ، من أدب الجن المؤمنين ، ومن أدب الخضر عليه الصلاة والسلام " انتهى .

"فتاوى نور على الدرب" (1 /109-111) .

والله أعلم